

# العشيرة شمس تخنضر...

قصة بقلم رشيد حيمود

مرة اخرى ..

نهر الفرح الذي كان يجري حين عودتي ، غاص ينبوعه ، جف ، واصبح ضحلا ، مستنقع آسن ، ينشر الدباب والوباء ..  
قريتي ميتة .. وفي قلبي يزهر الشتاء ..

\*\*\*

باب دارنا الكبيرة موارب ، سكون شامل يلف المكان ، كلاب فريننا تنبح بعز ، وورائي كانت تختنق البيوت الرمادية .. وتختفي خلف سياج من الاسرار ، وفي ظلام ما قبل العتمة ، نجشأت تعبي .. سقوط مفاجيء .. انحدار نحو الهوة .. لهب حقد جهنمي يلتمع في عيون ابي واخوتي .. يجيئني على شكل جمر متوهج ، ينعكس عليه ضوء الفانوس الهزيل .. وانثابني البلبل .. وابتدأت النوبة .. الذراع تسقط .. تسترخي .. الحقيقية فجر محطم .. الرجفسة تجنحني ، اهتز كتابي آلة بالية .. والدتي تهزول .. ثوبها اسود ، في عينيها دمعتان هبطتا فسرا عنها .. ترتمي على صدري ، نسج تنتحب بحرقة وألم .. تماثيل حقد سموت على الجدران .. الجهر المحرق يزداد توهجا .. حمامة ودبعة بيضاء أقفرت منها الدار ..

- أماه ، هل ماتت ( سمره ) ؟

وجاءني الجواب كنصل سكين عتيق ، يتالق بالدم ..  
- ياليتها ماتت ..

كلمات القاها ابي وكانسه يهشم حشرة شريرة .. كأنه يالوك مفضة من لحم صبي ميت خنقه بين اصبعيه ..  
كف عن هذا يا ابي ، أبتهلل اليك أنقذني من القبر الذي أوقعتني فيه ..

وأجلت بصري فيهم علني اعثر على جواب يعبد عني هساجس الشك ، ومرارة الانتظار .. ولكني رأيت شيئا رهيبا انتشلني من بشر الحيرة الذي تردت في قرارته .. « رأس والدي بلا عقال .. اخوتي كانوا منكسي الرؤوس حاسريها .. العشيرة تخنضر .. القرية ميتة .. الشوك ينمو في العيون » .. وأسقط في يدي ، فهمت كل شيء .. والدتي ثوبها أسود .. سمرة ميتة .. ورجعت ادراجي الى سنين مضت .. كانت كلمات والدتي ترن في اذني ، ولا زالت تنتهي الي مليئة بفيض عارم من فتوة ورجولة ..

« العقال يا بني لا يرتديه سوى الرجل ، والرجل الرجل هو من حافظ عليه ، وظل رافع الرأس وعلى حرامه الابيض ملأه النقاء عقاله عنوان الرجولة الكاملة ، وشارة شرفه وكبريائه كرجل .. عقال العشيرة ملوث يا ابي ولا يفسله سوى الدم .. وعشى بصري ذلك الاحساس الحاقد الذي يفح في اعماق عشيرتي كلفح سعير سيظل مضرا حتى تجيء الذراع وتملكني هذيان رهيب .. وعلى وجهي عبر طرقات القرية كنت اهرول بلا عيون .. صوت والدي .. بيدر شقاء يسبح في سمائي ..

- لا تطفئ مستقبلك يا بني ، سوف ينتشر اخوتك في كل البلاد حتى تجيء الذراع .. ستجيء الذراع يا ابي .. سماء السدم .. سافرت ورائي .. ولن اعود الا ومعني الذراع التي ستشنق مسوت قسريتي ..

عشيرتي شمس تخنضر .. وسوف تعبر مرحلة الاحتضار .. الوجوه ستنتزع قناع الفموض .. ونهر الفرح نهر المخلوقسات البشرية التي حنطتها الماساة .. سوف يجري كما كان في الماضي ..

اننا نفرق ..

نرتمي في سراب الوهم دون اختيار منا .. نبحث عن ظل نركن اليه من هجير الابد لنعبر مرحلة الاحتضار ، ولكننا نرجع وفي جنباتنا ينتحب الحنين ، والندم ..

القطار يجرح جسده الحزين ..

وانا أشيع الوجوه الجامدة ، بنظرات يقيسل فيها البوار .. وقلبي شرع يتلاشى ، يحترق ، ينشر دخانا فضيا له رائحة الشواء ..  
القطار يقلل في حشا الظلمة ..

والعربات مقفرة بلا مسافرين .. عواء مخنوق يتفجر في ارضفة المدن الضائعة في هياب المداخن .. بطارحا في فناء نفسي نحسب ارتحال ابدي .. وتجتاح العربات موجة خانقة من الاسى .. سددت علي منافذ النجاة وأوصدت دوني ابواب الرجاء .. انها هنا ، هناك ، في كل مكان اهرب منه واتوجه اليه ، انها اللعنة الابدية التي تتعقبني ، وترصد خطوي لتسلف جسر الكراهية المعلق فوق نهر الدم الذي يجري في جنبات صدري ..

وجوه مستعارة ، تطاردني ، وتحيط بي في أي مكان أحط به رحالي .. انها ظلال حية لوجه الجريمة الذي تردى وسط جنازة من الصمت الحزين ..

صفير القطار الابح يجرح هداة الليل ..

وغشيت عياني خاف رداء من الدموع .. شواظ من نار يدوم في عراء الدهر .. سحابة سوداء تحجب الشمس ، تشوهت الاشكال .. الشوارع قفر .. خلو من العابرين ، قيظ الظهيرة يشوي عيني .. غامت المريثات ، امحت الظلال ، تلاشت الصور ، غرق كل شيء بالدهول ..

شدت علي المسدس ...

وفي دوامة الصخب القاسي المصمم .. بدأ كل شيء وانتهى كل شيء .. دوي الرصاص يفصل صمت هذا النهار الغريب وينداح في لجة المدمي ، قارب نكس رايسة الاسى ، مركب نار راح يمحز عباب يوم من الشقاء ..

ثلاثات طلقات ..

وتدفقت قرب الكتابة .. وضعت في قري الضباب .. سيات حقدني ما زالت تنبح كقطيع ذئب جائعة ..

ثلاثات طلقات ..

قرعت بهن نافذة الغناء ..

سخطي كابوس سيظل يسلط مداه ليغمدها في قلبي حنسى يصيب مني مقتلا ..

سخطي .. وجه اخر مستعار ، صدى تردده أجنحة الوجس التي تنمط في ذاتي .. وجه زنجي ، يخلق في صمنا تسكنه الديموع .. ثلاث طلقات .. قرعت بهن نافذة الغناء ..

مرجل القطار يهدر .. جنت العجلات وهي تخترق ظلمة الليل ..

القطار غراب اسود ، بومة نعتت في الهجير ..

واندس في سريرة الذكري ، في قتامة الظل الذي يسترخي في ساحات نفسي ، يهبط علي كنجم مطفا ..

المطر يهطل ، الطريق موحلة ، وحقيبتني تهتز بيدي ، قريتي ميتة ، وفي قلبي يزهر الشتاء ، وجوه تلوح ، يسورها الفموض ، عيونهم قبور تفسع بالديدان .. أحكم الحصار ، طروادة تموت

ليلة بلا نجوم .. تلك التي وصلت بها المدينة ..  
وتلتها ليال كن اشد ظلمة منها .. وفي هذه الاوقات البطيئة،  
كانت تنمو في اعماقي ديدان الحقد ، وتكبر .. كنت اعمى .. بلا  
عيون .. بلا افكار ، غير حثالة حقد حبيس كان يهدم كمرجل هذا  
القطار . فجأة .. ووجدت نفسي على شفير الهاوية .. ولحقني  
العويل .. ونبح ذئب الحقد ، وكبرت الصور .. وتجسم المنظر ..  
الشارع قفر .. واستيقظت سماء الدم .. شددت على المسدس ..  
ثلاث طلقات وفتحت نافذة الفناء .. المدينة تركض خلفي .. سحب  
سوداء تلاحقني ..

وجوه مستعارة .. لهيب أسفي .. سخط .. الكابوس ..  
لم تكن وحدها .. كان بطنها منتفخا .. عيون الطفل ترجمني ..  
الجرائد تنقفي اثرى .. تفمد خناجرها في عيني ..  
( حقوقي يقتل شقيقته )

( شاب يدرس القانون يذبح اخته الحبلي ) .  
وانهار كومة من صجر محطم .. حثالة حقد عبرت بلا قائد ..  
قتاديل حياتي التي أسرجتها بالربيع ، انطفأت وكانت السقطة ..  
قبري الابدي ..

القطار ينحدر في قلب المدينة .. ويهدأ هدير مرجله ، تنتشلي  
من وهدة أفكارى جليسة المتفرجين .. وانتابني حس السقوط  
المفاجيء .. شعرت انهم يشيرون الي صائحين ( هذا هو القاتل ) .  
واهبط المدينة كفسرقة تنتحب .. فقدت قائدها في معركة  
ضارية .. ويرعى الهرم في دياجر وجهي .. وفي عتمة الليل يحلق  
غول له آلاف الايدي والازجل ، يلحق الدم ، في شارع قفر . وعيون  
طفل صفيح تتدحرج في توسل أليم ..

هاجس النبذ ، يساورني .. كنت أنفصل بوحشية عن العالم ..  
يسيل في جسدي قدر هائل من التفاهة وأصلب نفسي على خشب  
الهجير التائه في مجاهل الأزل ..  
أردت ان اندفق امام العالم .. حوالي ذاتي ، ليمتلئ العالم

باشكال تشبهني ، ولكني هويت تحت العالم .. كجرذ قنر ، يسير  
متنكر الوجه .. أسود النفس .. يحمل معه سر ماساته . ويجر  
وراءه صليب تعاسته الدامي ..

ابراج الحياة التي كنت اعد نفسي لالحق فوق قممها كسرب من  
حمام ابيض ، ترنحت .. وانهارت ببطء . منذ ان هوت اجنحة تلك  
الحمامة الوديمة .. وعفر دمها ارضية الشارع القفر .. حين ابتدأت  
النوبة ، ونبح ذئب الحقد كنت أنا زائدا عن اللزوم فحجبت عن  
بصري الاشياء .. وحط على مقلتي ملاء دم .. بومة تعقت فانتحسب  
الحنين في دمي .. وبكى الندم . وأنا الان امرؤ زائد عن اللزوم ، علي  
ان اتلاشى ، أنزوي لاتخلص من خطأ اللعنة من الوجوه المستعارة التي  
تنقفي اثرى ..

مركبات النار تمخر بحار الشقاء .. عربات الحزن .. ترحل  
على متن غيمة من الاماني المطفاة .. ومن البعيد لمحت حلقات دخان  
فضي تتكدس كسحاب أسود يحجب الشمس ، كتلك السحابة في ذلك  
النهار الفريب . المدينة تهجع امامي في استسلام حزين .. القططار  
يتدحرج من جبل شاهق ثم يساب على السفح كحبة سوداء . ثمرة  
أين ما يتناهى الي منقطعا من مكان قصي ناء .. ربما هو ات الي  
من قريتي .. من نهر المخلوقات البشرية الحزين . وامسكت المسدس  
بيدي .. اللحظة الحرجة تقترب ..

غسلت عقال العشيبة الملوث بدم سمره وسوف اغسل عقال العالم  
بالدم ايضا ولكنه سيكون دمي هذه المرة ..  
ثلاث طلقات ..

ودخلت النافذة المفتوحة ..  
العالم ينتهي .. رجة عنيفة ، اعقبها نواح خافت .. وتدحرجت  
كومة من صجر محطم ..

الشمس شبه ميتة .. كانت تحتضر تتواري .. عشيرتي .. يارب  
شمس تحتضر .. ان لها ان تموت  
القطر السوري - الرقة : رشيد محمود

صدر حديثا :

المسائل والسلام ( شعر )

من القاهرة الى متقل قاسم

كتابان من تأليف

الاستاذ عدنان الراوي

قصائد قومية هادرة تفضح زيف دعاة السلام  
في العراق وتصور العهد الشعبي الاحمر  
الذي أزالته ثورة ١٤ رمضان المجيدة

فصول مثيرة عن الاضطهاد الذي فرضه  
العهد القاسمي الاسود على احرار العراق  
في سرد جذاب يتابعه القاريء بحماسة

الثن ٢٠٠ ق.ل

الثن ٢٥٠ ق.ل

منشورات دار الاداب